الدلالة الزمنية لـ (إذْ) في القرآن الكريم
(دراسة في التركيب والمعنى)

د. محمد احمد سالم عبد الله / قسم اللغة العربية - كلية اللغات والترجمة - جامعة الزيتونة
أ. عبد الحميد غيث علي مروان / قسم اللغة العربية - كلية الآداب واللغات - جامعة طرابلس

الملخص

يتحدث البحث في هذه الورقات عن الأداة (إذ) التي لها استعمالات عدة، من بينها: أنها تفيد الظرفية الزمانية، وهذا الاستعمال ظهر جليا في مواضع من القرآن الكريم. وبتتبع تلك المواضع وإمعان النظر فيها برزت دلالات زمانية، لم يكن بعضها مستعملا في غير كتاب الله تعالى، وتلك الدلالات تنوعت، واتخذت صورا وأنماطا وفق السياقات المختلفة أعطت للنص القرآني خصوصية تميز بها عن غيره من أساليب الكلام العربي.

المقدمة:

لعل من الأهمية بمكان الحديث عن الدلالة الزمنية لـ (إذ) الظرفية، الناجمة عن وجوه الاستعمال اللغوي لهذه الأداة، وما يترتب على ذلك من معان دلالية عند تركيبها في سياقات مختلفة. ومن هذا المنطلق سيحاول البحث إظهار بعض المعاني لهذه الأداة؛ وإن ترجح عند النحاة كونها اسمية ظرفية لما مضى من الزمان، وهذا لا يمنع من وجود معان أخرى لها دلالاتها في سياقاتها المختلفة.

وبتتبع أقوال المعربين والمفسرين تبين أن لها دلالات زمانية مع ما تدل عليه من معنى التعليل، والربط. وهذا سيعطي لهذه الأداة معاني نحوية ودلالية يمكن استعراضها في هذه الدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

- محاولة تتبع بعض آراء النحاة القدامى والمحدثين حول (إذ) الظرفية، ذات دلالات خاصة تميز بها القرآن الكريم.
- الإسهام في دراسة التراكيب والمعاني التي تبرز خصائص النص القرآني، وتميزه عن سائر كلام البشر.
- المشاركة في نشر الدراسات التطبيقية المتعلقة بنحو الجملة، ونحو النص، على حد سواء.

مصطلحات الدراسة:

(الدلالة الزمنية - (إذ) – المضيّ – الاستقبال - الظرف - التعليل – الربط – التضام - التعليق).

منهج الدراسة:

المنهج الذي سار عليه البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، وهو منهج قائم على الاستقراء والتتبع لمادة الدراسة بعد تحليلها؛ بغية استخلاص النتائج المهمة لتلك المادة المدروسة، ما ييسر الإفادة منها، والبناء عليها.

الدراسات السابقة:

- الزمن في القرآن الكريم (دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه)، بكري عبد الكريم: دار الكتاب الحديث، الجزائر، (د-ط)، 1421هـ/2001م. ركزت هذه الدراسة على الزمن بمختلف صيغه الفعلية أو المقترنة بالأدوات الداخلة عليها ودلالاتها في القرآن الكريم.
- استعمالات "إذ" في اللغة العربية، للدكتور أسعد النجار. تحدث فيها عن أنواع "إذ" الظرفية، والتعليلية، والفجائية. نشرت في منتدى نبع العواطف الأدبية.
- "إذ" واستعمالاتها في القرآن الكريم بين النحاة والمفسرين. تتبعت الدراسة استعمالات "إذ" المختلفة في القرآن الكريم، مع ذكر اختلاف النحاة والمفسرين أو اتفاقهم في المواضع

التي جاءت فيها. وهي رسالة ماجستير غير منشورة، للطالبة: مها علي القرشي، إشراف أ.د. محمد خاطر، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1430هـ/ 2009م.

لكن ما يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات أنها ركزت على تنوع الدلالة الزمنية للأداة (إذ) في السياقات المختلفة التي جاءت في القرآن الكريم.

وقد قُسم البحث إلى فقرات ثلاث، وخاتمة، كانت الأولى منها لدراسة الدلالة الزمنية لـ (إذ) الظرفية بين المضي والاستقبال، أما الفقرة الثانية فكانت لدراسة الدلالة الزمنية لـ (إذْ) التعليلية وأثرها في الربط. وأما الفقرة الثالثة فكانت لدراسة الدلالة الزمنية لـ (إذ) المضافة إلى الجمل في ضوء قرينة الربط الزمني. وخُتم البحثُ بذكر بعض النتائج، مع فهرس للمصادر والمراجع.

توطئة:

الدلالة الزمنية للأداة (إذ) الظرفية لها سمات تميز بها النص القرآني، يمكن أن نلحظها من خلال الأداة أو من السياق التي وردت فيه. ولعل من المفيد في هذه التوطئة الإشارة إلى بعض المفاهيم الأولية التي لها صلة وارتباط وثيق بموضوع الدراسة، ومن هذه المفاهيم:

الزمن: وهو "اسم لقليل الوقت وكثيره" (الجوهري، 1984: ز.م. ن). وهو ما يعني أنه مدة من الزمن قابلة للتقسيم والتجزئة، ويشمل كل أجزاء الزمن، من الساعات والأيام والشهور والفصول، وهذا هو الزمن الطبيعي الذي تقع فيه الأحداث، بداية وانقطاعا، وهو الذي يمكن حصره وعدّه واستغلاله في تنظيم علاقاتنا الواقعية (عبد العزيز، 1970، ص:35).

وهناك أزمنة أخرى، ليست مجال بحثنا، نغض الطرف عنها، منها ما يسمى بالزمن النفسي الذي يشير إليه الأدباء والنقاد في دراساتهم النقدية والتحليلية، ومنها ما يعرف بالزمن الفلسفي الذي يتحدث عنه العقلانيون من أهل الفكر والفلسفة، لكن ما نود الحديث عنه هو الزمن النحوي الذي يؤخذ من السياق، ويذكره النحاة والمعربون من أهل اللغة والتفسير في مؤلفاتهم،

ويفرقون بينه وبين الزمن الصرفي الذي تمثله صيغ الأفعال بأزمنتها المختلفة، مع بعض الأدوات والأسماء صرفيا ونحويا (نايف، 2011، ص:9).

الظرف: "وعاءُ كلِّ شيءٍ حتى أنَّ الإبريق ظرفٌ لمَا فيه... وظرفُ الشيءِ: وعاؤُهُ، والجمع ظروف، ومنه ظروف الأزمنة والأمكنة" (ابن منظور، 2010، ظ. ر. ف).

وعند النحاة هو "ما ضمِّن معنى (في) باطراد من اسم وقت أو اسم زمان أو اسم عرضت دلالته على أحدهما أو جار مجراه" (ابن هشام، 2004، 194/2). ومن بينها أداة الظرف (إذْ) الزمانية، التي تعد ظرفيتها ظرفية اقتران بما تمثله من ربط وقوع حدث بحدث آخر، كما في قولنا: سافرت إذ سافر عليٌّ، فإن (إذ) في هذا المثال تدل على اقتران زمن السفرين (حسان، د-ت، ص: 197).

الدلالة الزمنية: هي تلك الدلالة التي تؤخذ من داخل النص وخارجه، والنص اللغوي -كما نعلم- له زمنٌ في داخله، يستفاد من الصيغة نفسها، وزمنٌ من خارج النص يستدل عليه من القرائن والأحوال.

فالزمن الذي يكون بداخل النص تمثله صيغ الأفعال التي تدل على الحدث وزمانه، وما يتصل بها من أدوات. كما تمثله أزمنة بعض الأسماء والظروف. فالدلالة الزمنية الداخلية يحتاجها المتكلم ليربط الحدث بزمنه، أما الخارجية فيحددها السياق والظروف المحيطة بالنص، والقرائن والأحوال الملابسة له؛ لأن النص اللغوي له علاقة مباشرة بمحيطه الخارجي الذي يتفاعل معه، وهذا يتطلب علما وإحاطة بظروف إنتاج النص حتى تفهم دلالاته ومعانيه (عكاشة، 2010، ص:351).

الكلمات مفتاحية: (الدلالة الزمنية - (إذ) – المضيّ – الاستقبال - الظرف - التعليل – الربط – التضام - التعليق).

أولا: الدلالة الزمنية لـ (إذ) بين المضيّ والاستقبال.

يقول النحاة أن (إذ) عند إضافتها إلى الجمل تكتسب دلالات متنوعة تدل على أزمنة مختلفة، منها ما يستفاد من الأداة وما أضيفت إليه، ومنها ما يستفاد من السياق والقرائن المحيطة بالنص، فتفيد الزمن الماضي أصالة، وقد تدل على المستقبل بالقرائن والأحوال. وفي المفصّل: "إذْ لِمَا مضى من الدَّهر... تضافُ إلى كلتا الجملتين" (الزمخشري، 1993، ص:213)، وفي رصف المباني أنّ "(إذْ) أصلُها أنْ تكون ظرفاً للماضي من الزمان مضافة أبداً إلى الجملة" (المالقي، 2002، ص:148). فهي ظرفٌ لما مضى من الزَّمان، وتكون إضافتها للجملتين الاسمية والفعلية على حد سواء، فمن أمثلة إضافتها إلى الجملة الاسمية قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾ (الأنفال:26)، ومن أمثلة إضافتها إلى الجملة الفعلية قوله تعالى:﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ (آل عمران:164). ويشترط في الفعلية أن يكون فعلها ماضيا لفظا ومعنى، أو معنى لا لفظا، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾البقرة: 127).

ولهذه الأداة استعمالات لها دلالاتها عند إضافتها إلى الجمل، من بينها أنها تكون ظرفا زمانيا متصرفا، وهو استعمال أصيل، وقد تفارق الظرفية إلى وظائف نحوية أخرى، كالمفعولية والبدلية؛ لكن دلالتها على الظرفية الزمانية من أكثر المعاني استعمالاً في القرآن الكريم، وفي غيره من أساليب اللُّغة، إلا أننا قد نجد في القرآن الكريم ما يتميز به عن غيره من أساليب الكلام، خاصة فيما يتعلق بالزمن، ومن ذلك تنوع دلالة (إذ) الزمنية، ويمكن حصر هذا التنوع في الآتي:

1- دلالتها على المضيّ.

الأغلب أن ترد (إذ) اسما للزمن الماضي، وقد ترد لإفادة المستقبل (سيبويه، 1966، 60/2، 232/4)، ولها استعمالات أخرى ذكرها النحاة؛ لكننا نقصر الحديث عن استعمالها ظرفا، حيث جاءت في كثير من آيات القرآن الكريم دالة على الزمن الماضي، وإن دلت على المستقبل

في آيات أخرى فبقرائن وأحوال وملابسات وظروف أحاطت بالنص، وهو ما نبيّنه في الصور الآتية:

أ- **دخولها على الجمل الماضوية لإفادة المضي.** فتكون بمعنى (حين)، وهو الأصل، ومن الآيات التي دلت فيها (إذ) عند دخولها على الفعل الماضي، إفادة المضي قوله تعالى:﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: 27)، فقد دل الفعل (قرّبا) المضاف إلى (إذ) على الماضي الذي يرجع إلى زمن حدوث هذا الفعل، وهو الزمن الذي قرّب فيه قابيل وهابيل -ابنا آدم – القربان، كما حكت الآية. وليس بخاف أن هذا الزمن انقضى وانفرط؛ لذلك نرى الزمخشري يجعل جملة (إذ قربا) بدلا من (نبأ ابني آدم)، ويفسر الآية بقوله: "واتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت" (الزمخشري، 1354هـ، 233/2). والمعنى واتل عليهم نبأ إقدام قابيل على قتل أخيه هابيل. وقد حدث هذا في الزمن الماضي البعيد، ومن ثم نرى أن (إذ) بدخولها على الماضي أفادت المضي.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ (التوبة: 40). يقول ابن هشام: "وأسند الإخراج إلى الكفار، لأنهم حين هموا بإخراجه، أذن الله له بالخروج، فكأنهم أخرجوه، والتقدير في الآية: حين أخرجه" (الدماميني، 2008، 441/1).

ومن الآيات التي جاءت فيها (إذ) الداخلة على الفعل الماضي دالة على المضي على الأصل قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾(يوسف: 2)، وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ (مريم: 16).

ب- **دخولها على الجمل المضارعية لإفادة المضي،** أي: أنها تقلب دلالة المضارع إلى الماضي. جاء في شرح الكافية أن "(إذ) للماضي، وإذا دخل على المضارع قلبه إلى الماضي، كقوله تعالى:﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (الأنفال:30)" (الرضي، 197،

200/3)، فصيغة المضارع -في الآية وأمثالها- لحكاية الحال الماضية؛ وذلك لاستحضار صورتها الماضية".

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة:110)، حيث جاء الفعل المضارع في الآية، وهو قوله: (إذ تخلق) وقوله: (إذ تخرج) دالا على الماضي على الرغم من أنه جاء على صيغة المضارع، "وذلك من وجهين: الأول منهما: أنه جاء في سياق سرد أخبار سيدنا عيسى -عليه السلام-. والثاني: أنه جاء معطوفا على فعلين ماضيين لفظا ومعنى، وهما (أيدتك) و(علمتك)" (عبد الكريم، 2001، ص: 349). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (الشعراء:72). قال في البحر: "(إذ) ظرف لما مضى، فإما أن يتجاوز فيه، فيكون بمعنى (إذا)، وإما أن يتجاوز في المضارع، فيكون قد وقع موقع الماضي، فيكون التقدير: هل سمعوكم إذ دعوتم. وقد ذكر أصحابنا أن من قرائن صرف المضارع إلى الماضي إضافة (إذ) إلى جملة مصدرة بالمضارع" (أبو حيان، 1992، 163/8). ومن أمثلة ورود (إذ) مع الفعل المضارع في سياق الماضي قوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف:163)، حيث دل (إذ يعدون) و(إذ تأتيهم) على الزمن الماضي. قال أبو حيان في معرض رده على من جعل (إذ) متعلقة بـ (اسألهم): "ولا يتصور لأن (إذ) ظرف لما مضى، و(اسألهم) مستقبل ولو كان ظرفا مستقبلا لم يصح المعنى،

لأن العادِين وهم أهل القرية مفقودون، فلا يمكن سؤالهم، والمسؤول عن أهل القرية الهادين" (أبو حيان، 1992، 203/5). ورأي أبي حيان يشير إلى أن الخطاب في الآية موجه إلى من هم في عهد الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- من اليهود، في حين أن (إذ) دالةٌ على زمن ماض، بحيث لا تتعلق بالفعل (اسألهم) المعاكس لها في الزمنية، ومن ثم فالفعلان المضارعان (يعدون) و(تأتيهم) زمنهما ماضٍ منقضٍ منذ زمن بعيد.

ومما يؤيد ما ذهب إليه هؤلاء النحاة والمفسرون من أن (إذ) إذا دخلت على المضارع قلبته إلى الماضي عطفُ الماضي عليه، كما في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال:9)، حيث جاء الفعل (استجاب) الدال على الماضي -صيغة وزمنا- معطوفا على الفعل المضارع (تستغيثون) فدل على مضيه، فبما أن الاستجابة التي هي تالية زمنا لـ (تستغيثون) قد حدثت وأصبحت فعلا ماضيا حقيقة، فبالأحرى أن يكون الفعل (تستغيثون) قد جاء بمعنى الماضي (عبد الكريم، 2001، ص:349).

2- دلالتها على الاستقبال بقرائن السياق.

قد ترد (إذ) اسماً للزمن المستقبل، فقد ذكر سيبويه أنَّ "(إذ) لِمَا يستقبل من الدَّهر، وفيها مجازاة، وهي ظرفٌ، وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها" (سيبويه، 1966، 232/4)، وتبعه في ذلك بعض النحاة، منهم ابنُ هشام، ومثّل لذلك بقول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ الزلزلة:4)، أي يوم إذ زلزلت الأرض، وهو يوم النفخة الثانية، وهو مستقبل، ووجه الدِّلالة فيها – عنده- أنَّ (إذ) لا يمكن أن يرادَ بها إلاَّ المستقبل كون الآية تتحدث عن يوم القيامة (ابن هشام، 1979، 80/1). وجمهور النحاة لا يثبتون ذلك، ويجعلون (إذ) للماضي دائما، ورأيهم فيما ورد من آيات تتحدث عن أخبار مستقبلة تقع يوم القيامة: أنَّها من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع، من مثل قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (يس:51)، والقصد من تنزيل

المستقبل الواجب منزلة ما قد وقع أنَّ الأمورَ المستقبلية لَمَّا كانت في إخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها، عُبِّرَ عنها بلفظ الماضي (الشاذلي، 1989، ص:65).

أ- **دخولها على الجمل الماضوية لإفادة المستقبل**، أي: أنها تدخل على الفعل الماضي فتصرفه إلى المستقبل بدلالة السياق والقرائن المصاحبة له. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ (البقرة:165-166)، فقد دخلت إذ على الجملة الماضوية وهي لِمَا مضى في أثناءِ هذه الأفعال الدالة على الاستقبال، وهي (يرى – يرون) تقريباً للأمر، وتصحيحاً لوقوعه. ومعلوم أن التبرؤ الذي سيقع بين الكفار لم يقع بعد، وإنما سيقع يوم القيامة وهو أمر مستقبل. وهذه الدلالة الزمنية المستقبلية فهمت من خارج النص اللغوي (ابن عطية، 2001، 135/1).

ومن الأمثلة الدالة على مجيء (إذ) للاستقبال قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبأ:51). حيث دخلت على فعل ماض، فكانت دلالته الزمنية هي الاستقبال المفهوم من قرائن السياق، "فوقت الفزع: وقت البعث، وقيام الساعة، وهو أمر لم يأت بعد، ولأنها جاءت في سياق يصور ما سيكون يوم القيامة، فيكون ذلك من تنزيل ما سيكون منزلة ما قد كان ووجد لتحققه؛ لأن ما الله فاعله في المستقبل مقطوع به، ومتحقق الوقوع لا محالة، وما كان كذلك جاز التعبير عنه بالماضي" (الزمخشري، 1354هـ، 296/3). وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام:27)، نجد أن الفعل (ترى) مستقبل، وأن (إذ) ظرف للماضي، "وإنَّما كان كذلك؛ لأنَّ الشيء كائن، وإن لم يكن بعد ذلك عند الله قد كان؛ لأنَّ علمَهُ بهِ سابق، وقضاءه به نافذ؛ فهو كائن لا محالة" (الزركشي، 1990، 184/4). ومن ثم نلحظ أن صيغة الفعل الماضي (وقفوا) تدل على الاستقبال الذي يمتد زمنه إلى زمن الآخرة، وبذلك يكون

الفعل (وقفوا) ماضيا لفظا مستقبلا معنى، وإنما جاء كذلك تقريبا للأمر، وتنزيلا للمستقبل منزلة الماضي. وثمة من يرى أن (ترى) باقية على حالها من الدلالة على الاستقبال، وأن (إذ) معناها (إذا)، فهي ظرف مستقبل، ويكون المعنى الزمني لـ (إذ وقفوا): حين يقفون (عبد الكريم، 2001، ص:348).

ومن المواضع التي دخلت فيها (إذ) على الفعل الماضي وأفادت المستقبل قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة:20)، حيث يرى أبو حيان أن الفعل (جَعَلَ) في هذه الآية لا يخلص إلى الماضي، بل يراه إلى المستقبل أقرب، لأنه لا يراد بها حقيقة الماضي بالفعل، ويوجه دلالتها إلى المستقبل بقرائن خارجية، معللا ذلك أن بعض الأنبياء "كان قد ظهر عند خطاب موسى إياهم، وبعضهم لم يخلق بل أخبر سيكون فيهم" (أبو حيان، 1983، 147/1). وهذا يعني: أن المعنى الزمني للفعل هو أن الله قد جعل فيكم أنبياء، وسيجعل فيكم أنبياء، فكأن زمن هذا الفعل -عنده- يمتد من الماضي إلى المستقبل عبر الحاضر (عبد الكريم، 2001، ص: 348).

ب- **دخولها على الجملة المضارعية لإفادة المستقبل**، أي: أنها تدخل على الفعل المضارع فتصرفه من الحال إلى الاستقبال بدلالة السياق، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾ (البقرة:165)، حيث تبدو دلالة (إذ) الداخلة على الفعل المضارع (يرون) على الاستقبال جلية، لا غموض فيها، ومعناها الزمنى "إذ يرون العذاب حين تخرج إليهم جهنم من مسيرة خمسمائة عام تلتقطهم كما يلتقط الحمام الحبة، لعلموا أن القوة والقدرة لله جميعاً" (أبو حيان، 1992، 90/2). فـالفعل (يرون) يدل بأصل وضعه على الحال أو الاستقبال، لكنه بدخول (إذ) ومن خلال قرائن صارفة صار دالا على الاستقبال، حيث إن فعل الرؤية لم يقع منهم بعد، وإنما سيقع مستقبلا

في يوم القيامة، كما يدل عليه الفعل (يرى)، وهذا يعطي دلالة على أن (إذ) قد قيدت زمن الفعل المضارع بأحد زمانيه وهو الاستقبال.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ (غافر:47) إذ إن سياق الآية يبيّن أن المحاجة تتم في الدار الآخرة، أي: فيما يستقبل من الزمان البعيد، فيلاحظ أن الدلالة الزمنية للفعل المضارع قد تعينت مع إذ للاستقبال دون الحال من خلال قرائن السياق.

ثانيا: الدلالة الزمنية لـ (إذْ) التعليلية وأثرها في الربط.

التعليل: هو تقريرُ ثبوتِ المؤثر لإثبات الأثر (الجرجاني، 2012، ص:55). وسبب تسمية (إذْ) في هذا الموضع بالتعليلية لتعليل السبب وتوضيحه. والسببية أو التعليلية قرينة معنوية، فهي علاقة معنوية تلحظ من سياق الكلام في التركيب. لكن لما كان لهذه الأداة دور في إنتاج هذه العلاقة عدّت من وسائل الربط اللفظي التي تربط بين السبب والمسبب، أو العلة والمعلول إذا توسطت بين التركيبين، وكانت تفيد التعليل في التركيب، مع ما تدل عليه من الظرفية الزمانية.

أما الربط فيمكن أن يُعرَّف بأنه: "قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر" (حسان، د-ت، ص:213)، أي أنها -في الحقيقة- علاقة تقوم بين سابق ولاحق في السياق بواسطة إحدى وسائل الربط، وهذه الوسائل عبارة عن ألفاظ أو أدوات تقوم بالربط، والغاية منها إحكام العلاقة بين التراكيب، وقد يكون المعنى عرضة للبس والغموض والبطلان دون هذه الروابط (حسان، 2006، ص:357).

ومن خلال تتبع الأمثلة والشواهد نلحظ أن (إذ) التعليلية قد تأتي مع ما يأتي بعدها من أجزاء التركيب مكملة للإسناد في التراكيب السابقة عليها، في حال توسطها بين تلك التراكيب محدثة ربطا نصيا محكما له دلالته الزمنية المستفادة من قوة الكلام، بحسب السياقات والقرائن والأحوال. كما نلحظ في التراكيب المصدرة بهذه الأداة معنى التعليل لما قبلها دون أن تفقد تلك

الدلالة الزمنية. ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (الأحقاف:26)، فإن (إذ) في الآية قد توسطت بين التركيبين، الأول: (فما أغنى عنهم)، والثاني: (كانوا يجحدون)، وأفادت التعليل لما قبلها، وكونها وسيلة من وسائل الربط اللفظي ربطت اللاحق بالسابق، وحققت بذلك ربطا لفظيا بين أجزاء الكلام، وأقامت علاقة محكمة بين أطرافه، ما أفضي إلى تماسكه وترابطه نصيا. والأمر ذاته يسري على هاتين الآيتين: الأولى منهما قوله تعالى:﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ (الفتح:18)، والثانية قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ (الزخرف:39)، فـ (إذ) في الآيتين قد توسطت بين تركيبين، وكانت تعليلا لما قبلها، فأحدثت بذلك ترابطا نصيا على مستوى الجملتين. هذا من حيث الدلالة النصية. أما من حيث الوظيفة النحوية فقد رأى طائفة من النحاة والمفسرين أن (إذ) قد تأتي للتعليل، فتكون حرفا بمعنى: لام العلة، وقيل: ظرف، والتعليل مستفاد من قوة الكلام (أبو حيان، 2011، 380/2)، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ (الزخرف:39)، أي أنه لن ينفعكم في هذا اليوم كونكم مشتركين في العذاب؛ لأجل ظلمكم الذي حصل منكم في الحياة الدنيا (ابن هشام، د-ت، 81/1).

وإذا أفادت (إذْ) التعليل، فهل هي حرف كـ (لام) التعليل، أو هي باقية على ظرفيتها، واستفيد التعليل من سياق الكلام؟ هنا لم يختلف النحاة والمفسرون في أن ما بعدها علة لما قبلها، ولكنهم اختلفوا في ظرفيتها إلى رأيين:

الرأي الأوَّل: أنَّها ظرفٌ، والتعليلُ مستفادٌ من قوةِ الكلام لا من اللفظ (ابن هشام، د-ت، 82/1). من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ

يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (الأحقاف:26)، حيث إن (إذ) أفادت الظرفية في الآية، واستفيد التعليل من سياق الكلام. بل إن صاحب الكشاف يرى استواء الظرفية والتعليل في الأداة نفسها، حيث يقول: "فإن قلت: بم انتصب (إذ كانوا يجحدون)؟ قلت بقوله: (فما أغنى)، فإن قلت: لم جرى مجرى التعليل؟ قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذ أساء، لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه، إلا أن (إذ) و(حيث) غلبتا دون سائر الظروف في ذلك" (الزمخشري، د-ت، 526/3). فمن خلال النقل السابق نرى أنه يقول بظرفية (إذ) في الآية، ويستدل على إفادة التعليل فيها بأن العلة (الإساءة) والمعلل (الضرب) وقعا في الظرف نفسه، وأن هذا خاص بـ (إذ) و(حيث) دون سائر الظروف. فـ (إذ) في الآية -كما يراها الزمخشري- ظرف زمان وقع فيه الحدث مع إفادة التعليل، فكانت (إذ) في هذا السياق -بالإضافة إلى كونها تعليلية- رابطة زمانية. وما ذهب إليه الزمخشري هو ما أكده أبو حيان عند تفسيره للآية نفسها حيث قال: "والعامل في (إذ) (أغنى)، ويظهر فيها معنى التعليل لو قلت: أكرمت زيدا لإحسانه إلي، أو إذ أحسن إلي، استويا في الوقت، وفهم من (إذ) ما فهم من لام التعليل، وأن إكرامك إياه في وقت إحسانه إليك إنما كان لوجود إحسانه لك فيه" (أبو حيان، 1992، 447/9). وفي قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف:39)، تحمل (إذ) معنى الظرفية والتعليل، حيث إن العاملَ في (إذْ) محذوف، والتقدير: "ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب، وجب لكم ذلك إذْ ظلمتم أنفسكم بالكفر والطغيان؛ فـ(إذْ) ظرفٌ ماضٍ فيه معنى التسبب". (ناظر الجيش، 2007، 1930/4).

لكن بعض المحدثين يستدرك على ذلك بأن (إذ) لا تفيد التعليل إلا من خلال الحدث الواقع فيها، وأنها باقية على ظرفيتها، والحدث قد يتغير فلا يفيد التعليل، وقال معقبا: "فمثلا يقول الزمخشري: (ضربته إذ أساء) أفاد الحدث هنا التعليل؛ لأن الحدث قد يكون سببا للضرب، أما لو وضعنا في هذا الظرف حدثا آخر، كقولنا مثلا: ضربت ابني إذ خرج الناس من المسجد، فإن

حدث الخروج ليس سببا في ضرب الابن، وإنما وقع الحدثان في وقت واحد. وعلى هذا الأساس تخرج الآيات السابقة التي اعتبر بعضهم أن (إذ) فيها تفيد التعليل" (زقلام، 1986، ص:96).

الرأي الثاني: أنَّها حرفُ تعليلٍ خارجة عن الاسمية، وهي بمعنى: اللام، قال ابنُ مالك: "وتجيءُ (إذْ) للتعليل، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ (الكهف:16)" (ابن مالك، 2009، 136/2). ويرى بعض النحاة أن إذ قد تتمحض للتعليل وتتجرد عن الظرفية (المرادي، 2006، 485)، ورجَّح هذا الرأيَّ الرضي بقوله: "وتجيءُ (إذ) للتعليل، نحو: جئتُك إذ أنت كريم، أي: لأنَّك، والأوْلى حرفيتها" (الرضي، 1978، 201/3)، وعليه وُجّه إعراب (إذ) في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف:39) عند كثير من المفسرين والنحاة، ففسرت بأنها: حرف بمعنى: لام العلة، أي لأجل ظلمكم في الدنيا (ابن هشام، د-ت، د-ط، 82/1)؛ لكن نرى من يذهب إلى أن (إذ) وإن خرجت من الاسمية إلى الحرفية، إلا أنه يبقى فيها معنى الظرفية، كما بقي في (كاف) الخطاب معنى الخطاب، وفي (على) معنى الاستعلاء (السهيلي،1984، 135).

وخلاصة القول: أن الجملة التي بعد (إذ) فيما سبق هي علة لما قبلها، وهي كذلك مزامنة لها، وإنما أشكل على النحاة ظرفية (إذ) في هذه الآية تعلق (إذ) بـ (ينفعكم) المخصص بـ (اليوم)، باعتبار أن (إذ) لا تكون إلا في الماضي، فلا يعمل فيها المستقبل، ولا يجوز تعلق (إذ) به، فجعلوها حرفا للتعليل (أبو حيان، 1992، 375/9)، وأن المعلل له إذا كان بعد (إذ) وما دخلت عليه فيحتاج للفاء؛ ليربط تركيب التعليل بتركيب المعلل له؛ وذلك لدلالة الفاء على السببية، أما (إذ) فتحتفظ بدلالتها على الظرف، وفائدتها تخصيص زمن العلة بالماضي القريب من زمن المعلل له حد الاقتران، فإن وقوعها في سياق المستقبل لا ينفي وقوع العلة في الماضي، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ (الزخرف:39) نجد أن عدم انتفاعهم اليوم بالاشتراك في العذاب حدث بسبب ظلمهم الذي قيدته (إذ) وخصصته

بالزمن الماضي بالنسبة لليوم الذي يعذبون فيه. وبعضهم جعل هذا الاستعمال خاصا بالقرآن الكريم؛ لأنه يُحدِّث بما لم يقع كأنه وقع. قال ابن جني: "ولما كانت الدار الآخرة تلي الدار الدنيا لا فاصل بينهما، إنما هي هذه فهذه، صار ما يقع في الآخرة كأنه واقع في الدنيا، فلذلك أجرى اليوم وهو الآخرة مجرى وقت الظلم وهو قوله: (إذ ظلمتم) ووقت الظلم إنما كان في الدنيا، فإن لم تفعل هذا أو ترتكبه بقي (إذ ظلمتم) غير متعلق بشيء" (ابن جني، 1952، 172/2).

ومن المعلوم أن الظروف الزمانية لها أثر في تخصيص الزمن النحوي بمعنى الاحتواء للحدث الواحد أو معنى الاقتران للحدثين (حسان، د-ت، ص:256). وهذا الاقتران نجده في السياق الذي تستعمل فيه (إذ)، وهو الذي يربط (إذ) الظرفية بالتعليل؛ لأن في التعليل اقترانا أيضا، وهو الذي جعل السهيلي – كما مرّ- يعد (إذ) حرفا بمعنى (أنْ) التي للمفعول من أجله (الزعاقي، 2009، 65-66).

ثالثا: الدلالة الزمنية لـ (إذ) المضافة إلى الجمل في ضوء قرينة الربط الزمني.

تضاف (إذ) إلى الجمل، وهي إضافة لازمة؛ لأنَّها لا توجد في أساليب الكلام إلاَّ مضافة، ولأن الظروف ذات افتقار إلى مدخول لها يعيّن معناها الزماني المبهم، فتأتي هذه الجمل لترفعه وتزيله، وتكون في موضع جر بالإضافة؛ لأنها بمنزلة الاسم المضاف، والمضاف لا يفصل عن المضاف إليه؛ لتعلقه بما يضاف إليه، أو بما تعلق به المضاف إليه، فهي من المتلازمات. ومن ثم نرى أن هذه الظروف المضافة إلى الجمل تقوم بربط هذه الجمل التي تضاف إليها بما تتعلق به الظروف (عكاشة،2010، 185). والنحاة ـ رحمهم الله ـ لما "رأوا الظروف تسلك مسلك الأدوات أحيانا قالوا بتعليق الظروف أيضا" (حسان، د-ت، 127). وهذا يعني أن للظروف المضافة وظيفتين:

الأولى: وظيفة الربط، "فكل أداة داخلة على الجملة لإفادة معنى الجملة، فهي رابطة تقوى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة في حيزها" (حسان، 2003، 152/1). وهذا الربط قد يكون: بقرينة التضام، وهي قرينة لفظية؛ لأن في التضام تعيينا لزمنها المبهم. ومعلوم أن المتضايفين

لا ينفكان عن بعضهما، فهما من المتلازمات، كما أنه من المعلوم أن الإضافة علاقة بين المضاف والمضاف إليه، وأن الضمائم التي تأتي بعد هذه الظروف، إما أن تكون المفرد والجملة، وإما أن تكون الجمل لا غير. وقد يكون الربط بقرينة السببية. والأداة (إذ) لما كانت من وسائل الربط اللفظي التي لها دور في ربط اللاحق بالسابق، تكون قد أحكمت العلاقة بين أطراف التركيب، أي إنها قوّت الصلة بين العلة والمعلول، أو السبب والمسبب، وأقامت علاقة ملحوظة هي علاقة السببية، وهنا تدل (إذ) على ربط جملة بأخرى ربط سببية (حسان، د-ت، 127).

الثانية: التعليق بالأداة، وهو في الظروف المضافة من أدوات الربط، وقرينة معنوية على إرادة المفعول فيه، فتخصص زمان الحدث على معنى الاقتران، ومن ثم يقال للظرف إنه متعلق بالفعل؛ لأنه يفيد تقييد إسناد الفعل بجهة معينة من الجهات. وقد حُدد للتعليق طريقتان للربط: الأولى تعتمد على علاقات ملحوظة تفهم من السياق، والثانية تعتمد على وسائل ملفوظة تؤخذ من النص، والظرف (إذ) في هذا الحال – بوصفه رابطا لفظيا- يربط بين ما أضيف إليه وبين متعلقه، سواء أكان المضاف إليه مفردا أم جملة. فإذا كان ما أضيف إليه الظرف جملة، فإن الظرف يربط بين هذه الجملة وبين ما يتعلق به. والذي يبدو أن (إذ) قد تتصدر تركيبا معللا به لما قبل (إذ) فلا يحتاج إلى رابط؛ لأن (إذ) تغني عنه لتوسطها، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (الأنفال: 26)، "حيث ربطت (إذ) بين سبق القلة في العدد وبين الذكر الذي هو جزء من معنى (اذكروا)، وإنما ذكرت الظروف المضافة بين الروابط هنا لازدواج علاقتها، فهي متعلقة بما قبلها مضافة إلى ما بعدها، فلا بد أن يكون موقعها موقع ربط" (حسان، 2003، 159/1).

ومعلوم أن الإضافة علاقة بين المضاف والمضاف إليه، وأن المضاف إلى الظرف في هذه الآية الكريمة جملة اسمية (أنتم قليل)، وقد ربطها الظرف (إذ) بالجملة التي قبلها (واذكروا)،

وتبدو قيمة الظرف (إذ) في الربط إذا تصورنا الآية السابقة بدون هذا الظرف، عندئذ يصبح لدينا جملتان، هما: چ ٱچ و چب بچ، ولا رابط بينهما؛ ومن ثم لن تقوم علاقة بين الجملتين كتلك العلاقة التي أقامها وجود الظرف (إذ)، فإذا دخلت (إذ) جعلت الكلام مرتبطا، وجعلت بعضه بسبب من بعض، فالظرف -هنا- قام بوظيفة الربط بين الجملتين: أي ربط الجملة التي بعده بالجملة التي قبله (حسين، 2010، 168،167).

وهاتان الوظيفتان -السالفتا الذكر- يؤديهما الظرف (إذ)؛ بالإضافة إلى أنه يؤدي وظيفة أمن اللبس إذا كان دالا على الشرط، فبعدم وجوده يصير الكلام مفككا. فالظروف -في حقيقتها- ما هي إلا تعبيرات عن معنى الجهة، ومن ثم كانت هذه الظروف -ومن بينها (إذ)- متعلقة بالفعل؛ لأنها – كما أسلفنا- تفيد تقييد إسناد الفعل بجهة معينة من جهات فهمه؛ شأنها في ذلك شأن كل ما أفاد علاقة التخصيص: كالمفعولات، والحال، والتمييز، والمستثنى. ومن هنا كان وضع الظروف في السياق موضع المفعول فيه. وهذا يعطي لهذه الأداة صلاحيتها لأن تدل على أكثر من معنى وظيفي في السياقات المختلفة، وهو ما يعرف بتعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.

الخاتمة

أود أن أشير إلى بعض النتائج التي توصل إليها البحث حول التوجيه الزمني لـ (إذ)، ومن هذه النتائج:

1- وجود تنوع دلالي للأزمنة في القرآن الكريم له ارتباط بالأداة (إذ)، وبالقرائن المصاحبة.
2- خروج بعض الأفعال المضافة لـ (إذ) عن دلالة صيغها الأصلية إلى أزمنة أخرى تؤخذ من قرائن السياق.

3- تعد الأداة (إذ) من الروابط الزمنية التي تربط بين ما أضيف إليها وما تعلق بها بقرينة التعليق، التي تفيد تقييد إسناد الفعل بجهة معينة من الجهات على إرادة المفعول فيه. كما تعد أداة للربط بقرينة التضام؛ لأن في التضام تعيينا لزمنها المبهم. وأيضا تقوم بالربط بقرينة السببية لإحكام العلاقة بين أطراف التركيب.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر: أمالي ابن الحاجب، تح: هادي حمودي، عالم الكتب، لبنان، 1985م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح: محمد النجار، المكتبة العلمية، 1952م.
- ابن عاشور، الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د-ط، د-ت).
- ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/1، 1422هـ/2001م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي: شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، تح: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2009م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، دار النور الكويتية، (د-ط)، 1431هـ/2010م.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، 2004م.
- ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد حمد الله، دار الشام للتراث، بيروت- لبنان، د-ط، د-ت.

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان، (د-ط، د-ت).
- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.
- أبو حيان، أثير الدين، محمد بن يوسف: البحر المحيط، مكتبة الإيمان، بريدة- السعودية، (د-ط)، 1413هـ - 1992م.
- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: شرح كافية ابن الحاجب، تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، (د-ط) 1398هـ/1978م
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تح: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط/2، 2012م. وطبعة مكتبة لبنان، بيروت، د- ط، 1985م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط3، 1404هـ/1984م.
- حسان، تمام: مقالات في اللغة والأدب عالم الكتب، القاهرة ط1، 1427هـ - 2006م.
- حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ط2، 2003م.
- حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، (د-ط، د-ت).
- حسن، عباس: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1976م.
- حسين، حسين رفعت: الموقعية في النحو العربي (دراسة سياقية)، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2010م.

- الدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر: شرح مغني اللبيب، المسمى بـ (شرح المزج)، تح: عبد الحافظ حسن مصطفى العسيلي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1429هـ/ 2008م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشي، وآخرون. دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط1، 1410هـ / 1990م.
- الزعاقي، نورة بنت عبد الله بن عبد العزيز: تراكيب التعليل في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1430هـ- 2009م.
- زقلام، بشير: الظروف الزمنية في القرآن الكريم، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا 1986م.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (د-ط، د-ت).
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: المفصل في علم العربية، تقديم: علي أبو ملجم، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط1، 1993م.
- السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د-ط، د-ت).
- السهيلي، أبو القاسم عبد الله: نتائج الفكر، تح: د. محمد إبراهيم. دار الرياض للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 1404هـ/1984م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار القلم، القاهرة، 1385هـ - 1966م.
- الشاذلي، أبو السعود: الأدوات النحوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1989م.

- عبد العزيز، سعد: الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1970م.
- عبد الكريم، بكري: الزمن في القرآن الكريم (دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه)، دار الكتاب الحديث، الجزائر، (د-ط)، 1421هـ/2001م.
- عضيمة، محمد عبد الخالق: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ/ 2004م.
- عكاشة، محمود: الربط في اللفظ والمعنى، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2010م.
- العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين: التبيان في إعراب القرآن، تح: علي البيجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1976م، وطبعة دار إحياء الكتب العربية، (د-ت، د-ط).
- القيسي، أبو محمد، مكي بن أبي طالب: إعراب مشكل القرآن الكريم، تح: صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984م.
- المالقي، أحمد بن عبد النور: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق- سورية، ط3، 1423هـ - 200م.
- المرادي، الحسن بن قاسم: شرح التسهيل، تح: محمد عبد النبي عبيد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1427هـ/ 2006م.
- ناظر الجيش، محب الدين محمد بن يوسف: شرح التسهيل المسمى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، تح: علي محمد فاخر، وآخرون، دار السلام، القاهرة، ط/1، 1428هـ/2007م.
- نايف، بشار إبراهيم: البنية الزمنية في القصة القرآنية (الاسترجاع والاستباق)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1: 2011م.